سورة التكوير

مكِّيةٌ في قول الجميع، وهي تسعٌ وعشرون آيةً

وفي الترمذيِّ: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سرَّه أن ينظر إليَّ يومَ القيامةِ [كأنه رَأيُ عينٍ] فليقرأ: إذا الشمسُ كُوِّرتْ، وإذا السماءُ انفطَرتْ، وإذا السماء انشقَّتْ». قال: هذا حديثٌ حسنٌ [غريب][1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال ابن عباس: تكويرُها: إدخالُها في العرش. الحسن: ذهابُ ضَوئِها. وقاله قتادةُ ومجاهدٌ، وروي عن ابن عباسٍ أيضاً[2]. سعيد بن جُبير: غُوِّرَتْ[3]. أبو عبيدة[4]: كوِّرتْ مثلَ تكويرِ العمامة، تُلفُّ فتُمْحَى. وقال الربيع ابن خثيم: «كوِّرتْ»: رُميَ بها[5]، ومنه: كوَّرتُه فتكوَّر، أي: سقط[6].

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٣٣)، وما بين حاصرتين منه، وهو عند أحمد (٤٨٠٦).

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٢٦ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

(٣) في (د) و(م): عورت، ولم تجود في (ظ) و(ي)، والمثبت من تفسير الطبري ٢٤/ ١٣٠، والنكت والعيون ٦/ ٢١١، وتفسير البغوي ٤/ ٤٥١، وزاد المسير ٩/ ٣٨، والدر المنثور ٦/ ٣١٨.

(٤) في مجاز القرآن ٢/ ٢٨٧.

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٥٠-٣٥١، والطبري ٢٤/ ١٣١.

(٦) الصحاح (كور).

قلت: وأصلُ التكوير: الجمع؛ مأخوذٌ مِن كارَ العمامةَ على رأسه يَكُورُها، أي: لاثَها[١] وجَمَعها، فهي تُكَوَّر ويُمحَى ضَوءُها، ثم يُرمَى بها في البحر[٢]. والله أعلم.

وعن أبي صالح: كوِّرَتْ: نكِّست[٣].

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ أي: تَهافَتتْ وتناثَرتْ. وقال أبو عبيدةَ: انصَبَّت كما تَنصَبُّ العُقابُ إذا كَسَرت[٤]. قال العجَّاج يصفُ صقراً:

أبْصَرَ خِرْبانَ قضاءٍ فانكَدرْ تقضِّيَ البازِي إذا البازِي كَسَرْ[٥]

ورَوى أبو صالح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَبْقى في السماء يومئذٍ نجمٌ إلَّا سقط في الأرض، حتى يفزَعَ أهلُ الأرضِ السابعةِ ممَّا لَقِيتْ وأصابَ العليا» يعني الأرضَ. وروى الضحاكُ عن ابن عباس قال: تساقَطَتْ؛ وذلك أنها قناديلُ معلَّقةٌ بين السماء والأرض بسلاسلَ من نورٍ، وتلك السلاسلُ بأيدي ملائكةٍ من نور، فإذا جاءت النفخةُ الأولى مات مَن في الأرض ومَن في السماوات، فتناثَرْتَ تلك الكواكبُ وتَساقطت السلاسلُ من أيدي الملائكةِ؛ لأنَّه مات مَن كان يُمسكها[٦].

ويحتمل أن يكون انكدارُها طَمسُ آثارِها[٧]. وسُميت النجومُ نجوماً لظهورها في

---

(١) لاث العمامة على رأسه يَلوثُها لَوثاً، أي: عصبها، الصحاح (لوث).

(٢) وقال الألوسي في روح المعاني ٣٠/ ٥٠ : جاء في الأخبار الصحيحة أن الشمس تدنو يوم القيامة من الرؤوس في المحشر حتى تكون على قَدْر ميل، ويُلْجِم الناسَ العرقُ يومئذٍ، ولا بحرَ حينئذٍ لتُلقى فيه بَعْدُ.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٣٠ .

(٤) في النسخ عدا (د): انكسرت، والمثبت من (د)، والعبارة في مجاز القرآن ٢/ ٢٨٧ : «انكدرت» يقال: انكدر فلان: انصبَّ.

(٥) ديوان العجاج ص٨٣ على اختلاف في الترتيب بين البيتين، ولم يذكر أبو عبيدة سوى الأول. قوله: خربان، هو جمع خَرَب: وهو ذكر الحُبَارى. ويقال للطائر إذا ضم جناحيه: كسر. سمط اللآلي ٢/ ٧٩١ . وتقضَّى البازي: انقضَّ. القاموس (قضى).

(٦) ذكر الخبرين الواحدي في الوسيط ٤/ ٢٢٨ عن الكلبي وعطاء.

(٧) في (ظ): نارها.

السماء بضوئها. وعن ابن عباس أيضاً: «انكدرت»: تغيَّرتْ فلم يَبْقَ لها ضوء[١]؛ لزوالها عن أماكنها. والمعنى متقارِبٌ.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ يعني قُلِعَتْ من الأرض، وسيِّرتْ في الهواء؛ وهو مِثْلُ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]. وقيل: سَيرُها: تَحوُّلُها عن منزلة الحجارة، فتكونُ كثيباً مَهيلاً، أي: رملاً سائلاً، وتكونُ كالعِهْن، وتكونُ هَباءً منثوراً[٢]، وتكون سَراباً، مثل السَّرابِ الذي ليس بشيء. وعادت الأرضُ قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوَجاً ولا أمْتاً. وقد تقدَّم في غير موضعٍ والحمد لله.

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أي: النُّوقُ الحَواملُ التي في بطونها أولادُها، الواحدةُ عُشَراء، وهي التي[٣] أتى عليها في الحمل عشرةُ أشهرٍ، ثم لا يزالُ ذلك اسمها حتى تَضعَ، وبعد ما تضعُ أيضاً. ومن عادة العرب أن يُسَمُّوا الشيءَ باسمه المتقدِّم وإن كان قد جاوَزَ ذلك؛ يقول الرجل لفرسه وقد قَرح[٤]: هاتوا مُهْري، وقرِّبوا مُهْري، يسمِّيه بمتقدِّم اسمِه؛ قال عنترة:

لا تَـذْكُـري مُـهْـري ومـا أطْـعَـمْـتُـه فيكونَ جِلدُك مِثلَ جِلدِ الأجرْبِ[٥]

وقال أيضاً:

وحَمَلْتُ مُهري وسطَها فمضاها[٦]

وإنَّما خصَّ العِشار بالذِّكر؛ لأنَّها أعزُّ ما تكون على العرب، وليس يُعَطِّلها أهلُها إلَّا حالَ القيامة. وهذا على وَجهِ المَثَل؛ لأنَّ في القيامة لا تكونُ ناقةٌ عُشَرَاءُ، ولكنْ

(١) النكت والعيون ٦/ ٢١١، وأخرجه الطبري ٢٤/ ١٣٣ دون قوله: فلَم يَبْقَ لها ضوء.

(٢) في (ظ): منبثا.

(٣) في (م): أو التي، بدل: وهي التي.

(٤) قَرَح الفرس يقرح قروحاً، وقَرِح قَرَحاً: إذا انتهت أسنانه، وإنما تنتهي في خمس سنين. اللسان (قرح).

(٥) سلف ١٤/ ٢٠٣.

(٦) وصدره: وضربتُ قرنَيْ كبشها فتجدَّلا، وهو في ديوان عنترة ص٧٥، وسلف صدره ١٤/ ٤٠٠.

أراد به المثل، [يعني] أنَّ هَوْلَ يوم القيامةِ بحالٍ لو كان للرجل ناقةٌ عُشَراءُ، لعطَّلها واشتغلَ بنفسه[١].

وقيل: إنَّهم إذا قاموا من قبورهم، وشاهد بعضُهم بعضاً، ورَأوا الوُحوشَ والدوابَّ محشورةً، وفيها عِشارُهم التي كانت أنْفَسَ أموالهم، لم يعبؤوا بها، ولم يهمَّهم أمرُها. وخُوطبت العربُ بأمر العِشار لأن مالَها وعيشَها أكثرُه من الإبل.

وروَى الضحَّاكُ عن ابن عباس: «عُطِّلت»: عَطَّلها أهلُها لاشتغالهم بأنفسهم[٢].

وقال الأعشى:

هو الواهِبُ المِئةَ المُصطَفا ةَ إمَّا مَخاضاً وإما عِشَارا[٣]

وقال آخرُ:

ترى المرءَ مهجوراً إذا قلَّ مالهُ وبيتُ الغِنَى يُهدَى له ويُزارُ

وما ينفعُ الزوارَ مالُ مَزُورِهم إذا سَرَحَتْ شَولٌ له وعِشار[٤]

يقال: ناقة عُشَراء، وناقتان عُشَراوان، ونوق عِشارٌ وعُشَراوات، يُبدِلون من همزة التأنيث واواً. وقد عَشَّرت الناقةُ تعشيراً، أي: صارتْ عُشَراء[٥].

وقيل: العِشار: السحابُ يُعَطَّل مما يكونُ فيه ـ وهو الماء ـ فلا يُمطِر؛ والعربُ تشبِّه السحابَ بالحامل[٦].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٥١ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) ذكره بنحوه الرزاي في التفسير ٣١/ ٦٧ .

(٣) ديوان الأعشى ص١٠١ . وقال الشارح: مخاضاً: تتهيأ للنتاج.

(٤) لم نقف عليهما. والشَّوْل جمع شائلة، وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها. القاموس (شول).

(٥) الصحاح (عشر).

(٦) تفسير الرازي ٣١/ ٦٧ .

وقيل: الديار تُعَطَّلُ فلا تُسكن. وقيل: الأرضُ التي يُعشَّر زَرْعُها تعطَّلُ فلا تُزرَع[١]. والأولُ أشهرُ، وعليه من الناسِ الأكثرُ.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: جُمعت، والحَشرُ: الجمع. عن الحسن وقتادةَ وغيرِهما[٢]. وقال ابن عباس: حَشرُها: موتُها ـ رواه عنه عِكرمةُ ـ وحَشرُ كلِّ شيء: الموتُ، غيرَ الجنِّ والإنس، فإنهما يُوافيان[٣] يومَ القيامة.

وعن ابن عباس أيضاً قال: يُحشَر كلُّ شيء حتى الذُّبابُ[٤]. قال ابن عباس: تُحشَر الوحوشُ غداً، أي: تُجمع حتى يُقتصَّ لبعضها من بعض، فيقتصُّ للجَمَّاء من القَرناء، ثم يقال لها: كوني تراباً، فتموتُ. وهذا أصحُّ ممَّا رواه عنه عِكرمة، وقد بيَّناه في كتاب «التذكرة» مستوفى[٥]، ومضى في سورة الأنعام بعضُه[٦]. أي: إنَّ الوحوش إذا كانت هذه حالها فكيف ببني آدم.

وقيل: عُنيَ بهذا أنَّها مع نُفرتها اليومَ من الناس، وتبدُّدِها في الصحارَى، تنضمُّ غداً إلى الناس من أهوال ذلك اليوم[٧]. قال معناه أبيُّ بنُ كعب[٨].

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي: مُلئتْ من الماء، والعربُ تقول: سَجَرْتُ الحوضَ أسجُره سَجْراً: إذا ملأتَه، وهو مسجورٌ، والمسجورُ والسَّاجِر في اللغة: المَلآن. وروى

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢١٢ . قوله: يعشَّر، أي: يؤخَذ منه العشر، في القاموس (عشر): عشَّرهم: أخذ عُشر أموالهم.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٥٦ عن قتادة، وأخرجه عنه الطبري بنحوه ٢٤/ ١٣٧ .

(٣) في تفسير الطبري ٢٤/ ١٣٩ : يوقفان، وكذا وقع في الدر المنثور ٦/ ٣١٩ عن الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وغيرهم.

(٤) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣١٩ .

(٥) ص٢٧٣ .

(٦) ٨/ ٣٧٢ .

(٧) تفسير الرازي ٣١/ ٦٨ .

(٨) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢١٢ بلفظ: اختلطت وصارت بين الناس.

الربيع بن خثيم: «سُجِّرتْ»: فاضَتْ ومُلئت. وقاله الكلبيُّ ومقاتلٌ والحسن والضحَّاك[١]. قال ابن أبي زَمَنين[٢]: «سُجِّرتْ» حقيقتُه: مُلئتْ، فيفضي[٣] بعضُها إلى بعضٍ، فتصيرُ شيئاً واحداً. وهو معنى قولِ الحسن.

وقيل: أُرسل عَذبُها على مالحها، ومالحُها على عَذبِها، حتى امتلأتْ. عن الضحاك ومجاهد: أي: فُجِّرتْ، فصارت بحراً واحداً[٤]. القُشيريُّ: وذلك بأن يرفع الله الحاجزَ الذي ذَكره في قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠]، فإذا رُفع ذلك البرزخُ تفجَّرت مياهُ البحار، فعمَّتْ الأرضَ كلَّها، وصارت البحار بحراً واحداً[٥]. وقيل: صارتْ بحراً واحداً من الحميم لأهل النار.

وعن الحسن أيضاً وقتادةَ وابنِ حَيَّان: تَيْبَسُ فلا يبقى من مائها قطرة[٦].

القُشيريُّ: وهو من سَجَرتُ التنورَ أسجُره سَجراً: إذا أحْميته، وإذا سُلِّط عليه الإيقادُ نَشِفَ ما فيه من الرطوبة، وتُسيَّر الجبال حينئذٍ، وتصيرُ البحار والأرضُ كلُّها بساطاً واحداً، بأن يُملأَ مكانُ البحارِ بتراب الجبال.

وقال النحاس: وقد تكونُ الأقوالُ متفقةً؛ يكون: تيبسُ من الماء بعد أن يفيض بعضُها إلى بعض، فتقلَبُ ناراً.

قلت: ثم تُسَيَّر الجبالُ حينئذٍ، كما ذكر القشيريُّ، والله أعلم.

وقال ابن زيد وشَمِر وعطية[٧] وسفيانُ ووهبٌ وأُبيٌّ وعليّ بنُ أبي طالب، وابنُ

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ١٣٩ عن الربيع والكلبي والضحاك.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن عيسى المرّي.

(٣) في (م): فيفيض.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢١٣ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٥١ .

(٥) ذكره الرازي ٣١/ ٦٨ عن الكلبي.

(٦) تفسير الطبري ٢٤/ ١٤٠ وتفسير البغوي ٤/ ٤٥١ عن الحسن وقتادة.

(٧) كذا في النسخ، وهو في تفسير الطبري ٢٤/ ١٣٨ والدر المنثور ٦/ ٣١٩ عن شَمِر بن عطية.

عباسٍ في رواية الضحَّاك عنه: أُوقِدَتْ فصارتْ ناراً[١]. قال ابن عباس: يُكوِّرُ الله الشمسَ والقمرَ والنجومَ في البحر، ثم يبعثُ عليها ريحاً دَبُوراً، فتنفخُه حتى يصير ناراً[٢]. وكذا في بعض الحديث: يأمرُ الله جلَّ ثناؤه الشمسَ والقمرَ والنجومَ فيَنْتَثِرون في البحر، ثم يبعثُ الله جلَّ ثناؤه الدَّبورَ فيسجِّرُها ناراً، فتلك نارُ الله الكبرى، التي يعذِّبُ بها الكفار[٣].

قال القشيريُّ: قيل[٤] في تفسير قولِ ابنِ عباس: «سُجِّرتْ»: أُوقِدَتْ، يحتملُ أن تكون جهنم في قُعورٍ من البحار، فهي الآنَ غيرُ مَسجورةٍ؛ لِقوَامِ الدنيا، فإذا انقضت الدنيا سُجِّرت، فصارت كلُّها ناراً يدخِلُها الله أهلَها. ويحتملُ أن تكون تحت البحر نارٌ، ثم يوقِدُ الله البحر كلَّه فيصير ناراً. وفي الخبر: البحرُ نارٌ في نارٍ[٥]. وقال معاويةُ ابن سعيد: بحرُ الرومِ وَسْطَ الأرضِ، أسفلُه آبارٌ مُطبقةٌ بنُحاسٍ يُسجَّر ناراً يومَ القيامة[٦]. وقيل: تكون الشمس في البحر، فيصيرُ البحرُ ناراً بحرِّ الشمس.

ثم جميعُ ما في هذه الآياتِ يجوزُ أن يكون في الدنيا قبلَ يوم القيامة ويكون من أشراطِها، ويجوزُ أن يكون يومَ القيامة، وما بعدَ هذه الآيات فيكونُ في يوم القيامة.

قلت: رُوِي عن عبد الله بن عمرو: لا يتوضَّأ بماء البحر لأنه طبقُ جَهنم[٧].

---

(١) أخرج قولهم الطبري ٢٤/ ١٣٨ .

(٢) أخرجه هناد في الزهد (٣٣٤)، والطبري ٢٤/ ١٣٨ .

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٩٣١) عن علي ﷺ، أنه كان يقول عن يهودي: ما كان في اليهود أعلم منه، قال: البحر نار الله الكبرى يَنْتَثِر فيها الشمس والقمر والنجوم، فيبعث الله عز وجل الدبور، فيسجره ناراً.

(٤) في (ظ): قال المفسرون.

(٥) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٨٩ ، وسلف ٢١/ ٢٦٦ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير عند هذه الآية. قال ابن كثير: هذا أثر غريب عجيب. ومعاوية بن سعيد التُّجَيْبيُّ الفَهميُّ مولاهم، مصريٌّ، من رجال التهذيب ٤/ ١٠٦ .

(٧) سلف ١٥/ ٤٤١-٤٤٢ ، وينظر الأوسط ١/ ٢٤٩ .

وقال أُبيّ بنُ كعب: ستُّ آياتٍ من قبلِ يومِ القيامة: بينما الناسُ في أسواقهم ذهب ضوءُ الشمس وبدت النجومُ فتحيَّروا ودُهِشوا، فبينما هم كذلك ينظرون إذ تناثرت النجومُ وتَساقطت، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبالُ على وجه الأرض، فتحرَّكت واضطربت واحترقت، فصارت هباءً منثوراً، ففزعت الإنسُ إلى الجنِّ والجنُّ إلى الإنس، واختلطت الدوابُّ والوحوشُ والهوامُّ والطير، وماج بعضُها في بعض؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ثم قالت الجنُّ للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطَلَقوا إلى البحار فإذا هي نارٌ تأجَّجُ، فبينما هم كذلك إذ تصدَّعتِ الأرضُ صدعةً واحدةً إلى الأرض السابعة السُّفْلَى، وإلى السماء السابعة العليا. فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريحٌ فأماتتهم[١].

وقيل: معنى «سُجِّرت»: هو حُمرةُ مائها، حتى تصير كالدَّم؛ مأخوذٌ من قولهم: عينٌ سَجراء، أي: حمراء[٢].

وقرأ ابن كثير: «سُجِرَتْ» وأبو عمرو أيضاً[٣]، إخباراً عن حالها مرةً واحدةً. وقرأ الباقون بالتشديد إخباراً عن حالها في تكرير ذلك منها مرةً بعد أخرى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال النعمان بنُ بشير: قال النبيُّ ﷺ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: «يُقرَنُ كلُّ رجلٍ مع كلِّ قومٍ كانوا يعملون كعمله»[٤]. وقال عمر ابن الخطاب: يُقرَنُ الفاجر مع الفاجرِ، ويقرنُ الصالح مع الصالح[٥]. وقال ابن عباس: ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة[٦]، السابقون زوجٌ ـ يعني صنفاً ـ

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٢٨ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢١٣ .

(٣) السبعة ص٦٧٣ ، والتيسر ص٢٢٠ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٤٢ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٥١ ، والطبري ٢٤/ ١٤٢ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٤٣ .

وأصحابُ اليمينِ زوجٌ، وأصحابُ الشمالِ زوجٌ.

وعنه أيضاً قال: زُوِّجَتْ نفوسُ المؤمنين بالحُورِ العين، وقُرِنَ الكافر بالشياطين[١]، وكذلك المنافقون.

وعنه أيضاً: قُرِن كلُّ شَكلٍ بشَكلِه من أهلِ الجنة وأهلِ النار، فيُضَمُّ المبرِّزُ في الطاعة إلى مثلِه، والمتوسِّطُ إلى مِثْلِه، وأهل المعصيةِ إلى مِثلِه؛ فالتزويجُ: أنْ يُقرنَ الشيءُ بمثله[٢]؛ والمعنى: وإذا النفوسُ قُرِنَت إلى أشكالها في الجنة والنار.

وقيل: يُضَمُّ كلُّ رجلٍ إلى مَن كان يَلْزمُه من مَلِكٍ وسلطان، كما قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

وقال عبد الرحمن بن زيد: جُعِلوا أزواجاً على أشباهِ أعمالِهم، ليس بتزويجٍ، أصحابُ اليمين زوجٌ، وأصحابُ الشمالِ زوجٌ، والسابقون زوجٌ، وقد قال جلَّ ثناؤه: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ أي: أشكالَهم.

وقال عِكرمةُ: «وإذا النفوسُ زُوِّجتْ»: قُرِنَتْ الأرواحُ بالأجساد، أي: رُدَّتْ إليها[٣].

وقال الحسن: أُلْحِقَ كلُّ امرئ بشيعته[٤]؛ اليهودُ باليهود، والنصارى بالنصارى، والمجوسُ بالمجوس، وكلُّ مَن كان يعبدُ شيئاً من دون الله يُلحَقُ بعضُهم ببعضٍ، والمنافقون بالمنافقين، والمؤمنون بالمؤمنين.

وقيل: يُقرَنُ الغاوي بمَن أغواه من شيطانٍ أو إنسان، على جهةِ البغضِ والعداوة، ويُقرَنُ المطيعُ بمَن دعاه إلى الطاعة من الأنبياء والمؤمنين.

---

(١) ذكره الرازي في التفسير ٣١/ ٦٩ ، وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن الكلبي، كما في الدر المنثور ٦/ ٣١٩ .

(٢) ذكره الرازي ٣١/ ٦٩ دون نسبة.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٤٤ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٤٣ .

وقيل: قُرِنت النفوسُ بأعمالها، فصارت لاختصاصِها به كالتزويج[١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ . بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ الموؤودة المقتولةُ، وهي الجاريةُ تُدفَنُ وهي حيةٌ، سمِّيتْ بذلك لمَا يطرحُ عليها من التراب، فيؤودها، أي: يُثقِلُها حتى تموت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي: لا يُثقِلُه؛ وقال متمِّم ابنُ نُويرةَ:

ومَـوءودةٍ مَـقـبـورةٍ فـي مَـفـازةٍ بـآمَـتِـهـا مَـوسـودةٍ لـم تُـمـهَّـدِ[٢]

وكانوا يدفنون بناتهم أحياءً لخصلتين؛ إحداهما: كانوا يقولون: إنَّ الملائكة بناتُ الله، فألحقوا البناتِ به. الثانية: إمَّا مخافة الحاجةِ والإملاق، وإمَّا خوفاً من السَّبْي والاسْتِرقاق. وقد مضى في سورة النحل هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [الآية: ٥٩] مستوفًى.

وقد كان ذَوُو الشَّرفِ منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه، حتى افتخر به الفرزدق، فقال:

ومِـنَّـا الَّـذي مـنـعَ الـوائِـدات وأحـيـا الـوئِـيـدَ فـلـم يُـوْأدِ[٣]

يعني جدَّه صَعْصَعة[٤]؛ كان يشتريهنَّ من آبائهن، فجاء الإسلامُ وقد أحيا سبعين موءودةً.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢١٤ ، وذكر هذا القول أيضاً الرازي ٣١/ ٦٩ وقال: واعلم أنك إذا تأمَّلتَ في الأقوال التي ذكرناها، أمكَنَك أن تزيد عليها ما شئت.

(٢) في (ظ) و(ي): موسومة لم تمهد، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٦/ ٢١٤ ، والكلام منه. والبيت في تهذيب اللغة ١٥/ ٦٤٥ ، واللسان (أوم) و(عوز) منسوب لحسان بن ثابت برواية:

ومـوءودةٍ مـقـرورة فـي مَـعـاوزٍ بـآمـتـهـا مـرسـومـة لـم تُـوَسَّـدِ

ولم نقف عليه في ديوانه. الآمة: ما يعلق بسرة المولود إذا سقط من بطن أمه، ويقال: ما لُفَّ فيه من خرقة وما خرج معه. والمعاوِز: خُلْقانُ الثياب. اللسان (أوم) و(عوز).

(٣) ديوان الفرزدق ١/ ١٧٣ .

(٤) ابن ناجية التميمي الدارمي، قال ابن السكن: له صحبة، وكان من أشراف بني مجاشع في الجاهلية والإسلام، وهو ابن عم الأقرع ابن حابس. الإصابة ٥/ ١٤٢ .

وقال ابن عباس: كانت المرأةُ في الجاهلية إذا حملتْ حَفَرت حفرةً، وتَمخَّضتْ على رأسها. فإنْ ولدت جاريةً رَمَتْ بها في الحفرة، وردَّتِ الترابَ عليها، وإن ولدتْ غلاماً حَبسَته[١]، ومنه قولُ الراجز:

سَمَّيتُها إذ وُلِدتْ تموتُ والقبرُ صِهرٌ ضامِنٌ زِمِّيتُ[٢]

الزِّميتُ: الوقور، والزميتُ مثالُ الفِسِّيقِ أوْقَر من الزَّمِيت، وفلانٌ أزْمتُ الناس، أي: أوْقَرُهم، وما أشدَّ تزمُّتَه؛ عن الفرَّاء[٣].

وقال قتادةُ: كانت الجاهليةُ يقتلُ أحدهم ابنته، ويَغذُو كَلبَه، فعاتَبَهم الله على ذلك، وتوعَّدهم بقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾[٤].

قال عمر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ قال: جاء قيس بنُ عاصم إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله إنِّي وأدْتُ ثمان بناتٍ كنَّ لي في الجاهلية، قال: «فأعتِقْ عن كلِّ واحدةٍ منهنَّ رقبةً» قال: يا رسولَ الله، إنِّي صاحب إبلٍ، قال: «فأهْدِ عن كلِّ واحدةٍ منهنَّ بَدَنةً إنْ شِئْتَ»[٥].

وقوله تعالى: «سُئِلت» سؤال الموؤودةِ توبيخٌ[٦] لقاتلها، كما يقال للطفل إذا ضُرِب: لم ضُرِبتَ؟ وما ذَنبُك؟ قال الحسن: أراد الله أن يُوبِّخ قاتلها؛ لأنها قُتلت بغير ذنب.

وقال ابن أسلم: بأيِّ ذَنبٍ ضُربت، وكانوا يضربونها.

---

(١) أخرجه الواحدي في الوسيط ٤/ ٤٢٩ ، وذكره البغوي ٤/ ٤٥٢ ، وابن الجوزي ٩/ ٤٠ .

(٢) الرجز في جمهرة اللغة ٢/ ١٦ ، واللسان (ربت). والثاني في العين ٧/ ٣٥٩ ، وتهذيب اللغة ١٣/ ١٨٦ ، والصحاح (زمت)، واللسان (زمت).

(٣) الصحاح (زمت).

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٤٧ ، وفيه: فعاب الله عليهم ذلك، بدل: فعاتبهم الله على ذلك...

(٥) أخرجه البزار في مسنده (٢٣٧)، والطبراني في الكبير ١٨/ (٨٦٣)، وابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير عند هذه الآية، ووقع عند البزار «فانحر عن كل واحدة...».

(٦) في (د) و(م): سؤال الموؤودة سؤال توبيخ.

وذكر بعض أهل العلم في قوله تعالى: «سُئلتْ» قال: طُلِبت؛ كأنه يريدُ كما يُطلب بدم القتيل، قال: وهو كقوله: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الأحزاب: ١٥] أي: مطلوباً. فكأنها طُلِبت منهم، فقيل: أين أولادُكم[١]؟

وقرأ الضحاك وأبو الضُّحا عن جابر بن زيد وأبي صالح: «وإذا الموؤودة سألت»[٢] فتتعلَّق الجارية بأبيها، فتقول: بأيِّ ذنبٍ قَتلتني؟ فلا يكونُ له عذرٌ؛ قاله ابن عباس، وكان يقرأ: «وإذا الموؤودة سألَتْ»[٣]، وكذلك هو في مصحف أُبيٍّ[٤]. وروى عكرمةُ عن ابن عباس عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ المرأة التي تقتلُ ولدَها تأتي يومَ القيامةِ مُتعلِّقاً ولدُها بثدييها، ملطَّخاً بدمائه، فيقول: ياربِّ، هذه أمِّي، وهذه قَتَلتْني»[٥].

والقولُ الأولُ عليه الجمهور، وهو مثلُ قوله تعالى لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦] على جهة التَّوبيخِ والتَّبكيتِ لهم، فكذلك سؤالُ الموؤودة توبيخٌ لوائدِها، وهو أبلغُ من سؤالها عن قَتلِها؛ لأنَّ هذا مما لا يصحُّ إلَّا بذنبٍ، فبأيِّ ذنبٍ كان ذلك. فإذا ظَهَر أنه لا ذنبَ لها، كان أعظمَ في البليةِ وظهور الحجة على قاتلها. والله أعلم.

وقرئ: «قتِّلت» بالتشديد. وفيه دليلٌ بيِّنٌ على أنَّ أطفالَ المشركين لا يُعَذَّبون، وعلى أنَّ التعذيب لا يُستحقُّ إلَّا بذنبٍ[٦].

---

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٤١ .

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٩ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢ ، وذكر ابن عطية أن بعض مَن قرأ بهذه القراءة قرأ ايضاً: «قُتِلْتُ» بسكون اللام وضم التاء.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٢١٤ ، وأخرجه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٤٠ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٥٨ .

(٥) لم نقف عليه.

(٦) الكشاف ٤/ ٢٢٢ ، وقراءة «قتِّلت» في القراءات الشاذة ص١٦٩ .

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ أي: فُتِحَتْ بعدَ أنْ كانت مَطوِيَّةً، والمرادُ صحفُ الأعمال التي كَتَبت الملائكةُ فيها ما فعلَ أهلُها من خيرٍ وشرّ، تُطوَى بالموت، وتُنشَر في القيامة، فيقفُ كلُّ إنسانٍ على صحيفته، فيَعْلَم ما فيها، فيقول: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩][1].

وروي عن مَرثَد بن وَدَاعة قال: إذا كان يومُ القيامة تطايرت الصحفُ من تحتِ العرش، فتقع صحيفةُ المؤمن في يده ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٢-٢٤] وتقع صحيفة الكافر في يده ﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٢-٤٤][2].

ورُوي عن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يُحشَرُ الناسُ يوم القيامةِ حُفاةً عُراةً» فقلتُ: يا رسولَ الله! كيف بالنساء؟ قال: «شُغِلَ الناسُ يا أمَّ سَلَمة». قلتُ: وما شَغَلَهم؟ قال: «نَشرُ الصُّحُفِ، فيها مثاقيلُ الذرِّ ومثاقيل الخَرْدَلِ»[3].

وقد مضى في سورة سُبحان[4] قولُ أبي السَّوَّار العدَوِيِّ: هما نَشرَتان وطَيَّةٌ، أما ما حَييتَ يا ابنَ آدم فصحيفتُكَ المنشورةُ، فأَمْلِ فيها ما شِئتَ، فإذا متَّ طُوِيتْ، حتى إذا بُعثْتَ نُشِرَتْ ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

وقال مقاتل: إذا مات المرءُ طُوِيتْ صحيفةُ عمله، فإذا كان يومُ القيامةِ نُشِرتْ.

وعن عمر ﷺ أنه كان إذا قرأها قال: إليكَ يُساقُ الأمرُ يا ابنَ آدم[5].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢١٥ .

(٢) الكشاف ٤/ ٢٢٣ ، وزاد في آخره: أي مكتوب فيها ذلك، وهي صحف غير صحف الأعمال . اهـ. ومرثَد بن وَداعة هو أبو قتيلة الحمصي، قال البخاري: له صحبة. الإصابة ٩/ ١٦٣ .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨٣٧). ونقله المصنف عن الكشاف ٤/ ٢٢٢-٢٢٣ .

(٤) ١٣/ ٤١ .

(٥) الكشاف ٤/ ٢٢٢ .

وقرأ نافعٌ وابن عامرٍ وعاصمٌ وأبو عمرو: «نُشِرَت» مخفَّفةً[١]، على نَشرِها مرةً واحدةً، لقيام الحجة. الباقون بالتشديد، على تكرار النَّشرِ؛ للمبالغة في تقريع العاصي، وتبشيرِ المطيع. وقيل: لتكرارِ ذلك من الإنسان والملائكةِ الشُّهداءِ عليه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾: الكَشْطُ: قَلْعٌ عن شدَّةِ الْتِزاقٍ، فالسماءُ تُكشَطُ كما يكشَطُ الجلد عن الكبش وغيره. والقَشطُ لغةٌ فيه، وفي قراءةِ عبدِ الله: «وإذا السماءُ قُشِطَت». وكَشَطْتُ البعيرَ كَشْطاً: نزعت جِلدَه، ولا يقال: سَلختُه؛ لأنَّ العرب لا تقولُ في البعير إلَّا كشَطْته أو جَلَّدته، وانكشط [رَوْعُه]، أي: ذهب[٢]. فالسماءُ تُنزَع من مكانها كما ينزعُ الغِطاءُ عن الشيء.

وقيل: تُطوَى، كما قال تعالى: ﴿يوم نطوِي السماء كطيّ السِّجِلّ لِلكتابِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. فكأنَّ المعنى: قُلِعَتْ فطُوِيتْ. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أي: أُوْقِدَتْ فأضرمت للكفار وزِيدَ في إحمائها. يقال: سَعَّرتُ النار وأسعَرتها. وقراءةُ العامَّةِ بالتخفيف، من السعير. وقرأ نافعٌ وابنُ ذكوانَ ورُويْس بالتشديد[٣]؛ لأنَّها أوقِدَتْ مرةً بعد مرةٍ. قال قتادة: سَعَّرها غضبُ الله، وخطايا بني آدم[٤].

وفي الترمذيِّ[٥] عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «أُوقِدَ على النار ألف سنةٍ حتى احْمَرَّتْ، ثم أُوْقِدَ عليها ألف سنةٍ حتى ابيَضَّتْ، ثم أُوقِدَ عليها ألف سنةٍ حتى

---

(١) السبعة ص٦٧٣ ، والنشر ٢/ ٣٩٨ عن نافع وابن عامر وعاصم، أما أبو عمرو فقرأ: «نشَّرت» بتشديد الشين.

(٢) الصحاح (كشط)، وما بين حاصرتين منه. وقراءة عبد الله ﷺ ذكرها أيضاً الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٤١ .

(٣) وقرأ بها أيضاً من العشرة حفص وأبو جعفر. السبعة ص٦٧٣ ، والتيسير ص٢٢٠ ، والنشر ٢/ ٣٩٨ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٥٠ .

(٥) برقم (٢٥٩١).

اسوَدَّتْ، فهي سوداءُ مُظلمة». ورُوي موقوفاً[١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي: دَنَتْ وقرِّبت من المتَّقين. قال الحسن: إنهم يُقرَّبون منها؛ لا أنَّها تَزولُ عن مَوضِعها. وكان عبدُ الرحمن بنُ زيد يقول: زُيِّنت[٢].

والزُّلفَى في كلام العرب: القُربة؛ قال الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠] وتزلَّف فلانٌ: تَقرَّبَ.

قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ يعني ما عَمِلَتْ من خيرٍ وشرٍّ. وهذا جوابُ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وما بَعدَها. قال عمر ﷺ: لهذا أُجْرِيَ الحديث[٣]. ورُوِيَ عن ابن عباس وعمر رضي الله عنهما أنَّهما قرآها، فلمَّا بلغا ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ قالا: لهذا أُجرِيَت القصةُ. فالمعنى على هذا: إذا الشمسُ كُوِّرَتْ وكانت هذه الأشياء، عَلمتْ نفسٌ ما أَحْضرتْ من عملها.

وفي الصحيحين عن عديّ بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم مِن أحدٍ إلَّا وسيُكلِّمه الله ما بينه وبينه تَرجُمان، فينظر أيمنَ منه فلا يرى إلَّا شيئاً قدَّمه، وينظر أشأمَ منه فلا يرى إلَّا شيئاً قدَّمه، وينظر أمامه، فتستقبلُه النار، فَمَن استطاع منكم أن يتَّقي النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ فلْيفعَلْ»[٤].

وقال الحسن: «إذ الشمسُ كوِّرتْ» قسمٌ وقع على قوله: «علمتْ نفسٌ ما أحضَرتْ»[٥] كما يقال: إذا نَفَر زيدٌ نفرَ عمرو. والقولُ الأولُ أصح.

وقال ابن زيد عن ابن عباس في قوله تعالى: «إذا الشمسُ كُوِّرتْ» إلى قوله:

---

(١) أخرجه الترمذي إثر المرفوع، ثم قال: حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح.

(٢) في (ظ): تزينت.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٢٠، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ١٥١-١٥٢.

(٤) صحيح البخاري (١٤١٣)، وصحيح مسلم (١٠١٦)، وهو عند أحمد (١٨٢٤٦).

(٥) النكت والعيون ٦/ ٢١٥.

«وإذا الجنة أُزلِفت» اثنتا عشرةَ خصلةً: ستَّةٌ في الدنيا، وستَّةٌ في الآخرة[١]، وقد بيَّنا الستَّةَ الأُولى بقولِ أبيّ بنِ كعب[٢].

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ۝٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ أي: أُقسِمُ، و«لا» زائدةٌ، كما تقدَّم[٣]. ﴿بِٱلۡخُنَّسِ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ هي الكواكبُ الخمسةُ الدَّرَاريُّ: زُحَلُ والمُشتري وعُطارِدٌ والمرِّيخُ والزُّهرةُ، فيما ذكر أهلُ التفسير. والله أعلم. وهو مَرْويٌّ عن عليٍّ كَرَّم الله وَجهَه[٤].

وفي تخصيصها بالذِّكْر من بينِ سائرِ النجوم وجهان: أحدُهما: لأنَّها تستقبلُ الشمس؛ قاله بكر بنُ عبد الله المُزَنيُّ. الثاني: لأنها تقطعُ المجرَّة؛ قاله ابن عباس[٥].

وقال الحسن وقتادةُ: هي النجومُ التي تَخْنسُ بالنهار، وإذا غَرَبَت[٦]، وقاله عليٌّ ﷺ، قال: هي النجومُ تَخنسُ بالنهار، وتَظهَرُ بالليل، وتَكنِسُ في وقتِ غروبها[٧]، أي: تتأخَّر عن البصر لخفائها، فلا تُرَى.

---

(١) زاد المسير ٩/ ٤١ .

(٢) سلف ص١٠٠ من هذا الجزء.

(٣) عند تفسير الآية (٧٥) من سورة الواقعة، والآية (٤٠) من سورة المعارج.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢١٦ ، وزاد المسير ٩/ ٤٢ ، وأخرجه عن علي ﷺ ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٢٠ ، وفيه: بَهْرام، بدل: المريخ، وهما واحد، كما في زاد المسير، والأزمنة والأمكنة ٢/ ٤٣٨ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٢١٦ ، وأخرجه عن ابن عباس أبو الشيخ في العظمة (٦٨٦). وعن بكر بن عبد الله الطبري ٢٤/ ١٥٣ .

(٦) في (د): إذا غربت، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٦/ ٢١٦ ، والكلام منه. وأخرج القول بنحوه عن قتادة والحسن الطبري ٢٤/ ١٥٤ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٥٢-١٥٣ بلفظ: تخنس بالنهار، وتكنس بالليل، وفي رواية: تجري بالليل، وتخنس بالنهار. وفي رواية: تكنس بالنهار، وتبدو بالليل.

وفي «الصحاح»: و«الخُنَّس»: الكواكب كلُّها؛ لأنها تَخنسُ في المغيب، أو لأنَّها تَخفَى نهاراً[١]. ويقال: هي الكواكبُ السيارةُ منها دون الثابتة. وقال الفرَّاء في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ . ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾: إنَّها النجومُ الخمسةُ؛ زُحلُ والمشتري والمرِّيخ والزُّهرةُ وعُطاردٌ؛ لأنها تُخنسُ في مجراها، وتَكنِسُ، أي: تَستَتِر كما تَكنِسُ الظِّباءُ في المَغَارِ، وهو الكِنَاس[٢]. ويقال: سمِّيتْ خُنَّساً لتأخُّرها؛ لأنَّها الكواكبُ المتحيِّرةُ التي تَرجعُ وتستقيم؛ يقال: خَنَس عنه يَخنُس ـ بالضَّم ـ خُنوساً: تأخَّر، وأخْنَسه غيرُه: إذا خلَّفه ومَضى عنه[٣]. والخَنَس: تَأخُّر الأنفِ عن الوجه مع ارتفاعٍ قليلٍ في الأرنبة، والرجلُ أخنَسُ، والمرأةُ خَنساءُ، والبقرُ كلُّها خُنسٌ.

وقد روي عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: «فلا أُقسِم بِالخُنس»: هي بقرُ الوحش؛ روى هُشَيم عن زكريا، عن أبي إسحاقَ، عن أبي ميسرةَ عمرو بنِ شُرحبيل قال: قال لي عبد الله بنُ مسعود: إنكم قومٌ عربٌ، فما الخنَّس؟ قلت: هي بقرُ الوَحشِ، قال: وأنا أرى ذلك[٤]. وقاله إبراهيم وجابر بنُ عبد الله[٥]. وروي عن ابن عباس: إنَّما أقسمَ الله ببقرِ الوحش[٦]. وروى عنه عِكرمة قال: «الخُنَّسُ»: البقرُ، و«الكُنَّس»: هي الظِّباء[٧]، فهي خُنَّسٌ؛ إذا رأينَ الإنسان خَنَسنَ وانقبضنَ وتأخَّرنْ ودَخَلنَ كِناسَهنَّ.

---

(١) في (م): تخنس نهاراً، وفي الصحاح (خنس): تختفي بالنهار، والمثبت من النسخ الخطية، وهو موافق لما في مختار الصحاح.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٥ ، ونقله المصنف عنه بواسطة الجوهري في الصحاح (خنس).

(٣) في مختار الصحاح: وخنس يكون متعدياً ولازماً... وبعضهم لا يجعله متعدياً إلا بالألف، فيقول: أخنسه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٥١ ، والطبري ٢٤/ ١٥٤-١٥٥ .

(٥) أخرجه عن إبراهيم الطبري ٢٤/ ١٥٦-١٥٧ ، ولم نقف عليه عن جابر بن عبد الله.

(٦) أخرجه أبو داود الطيالسي، كما في تفسير ابن كثير، بلفظ: «الجواري الكنس» قال: البقر الوحش تكنس إلى الظل.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٤٧٣ ، وفيه: المعز، بدل: البقر.

القشيريُّ: وقيل على هذا: «الخُنْس» من الخنَس في الأنف، وهو تأخُّر الأرنبةِ وقصَرُ القَصَبةِ، وأنوفُ البقرِ والظِّباءِ خنسٌ، والأصلُ[١] الحملُ على النجوم، لذِكرِ الليلِ والصُّبحِ بعد هذا، فذِكرُ النجومِ أليَقُ بذلك.

قلت: لله أن يقسمَ بما شاء مِن مخلوقاته من حيوان وجماد، وإن لم يُعلَم وَجهُ الحكمةِ في ذلك. وقد جاء عن ابن مسعود وجابر بنِ عبد الله ـ وهما صحابيَّان ـ والنخعيّ: أنَّها بقرُ الوحش. وعن ابن عباس وسعيد بن جُبير: أنها الظِّباء[٢]. وعن الحجاج بن منذر قال: سألتُ جابر بنَ زيد عن الجواري الكنَّس، فقال: الظِّباءُ والبقر[٣]. فلا يَبْعُدُ أن يكون المرادُ النجوم.

وقد قيل: إنَّها الملائكة؛ حكاه الماورديُّ[٤]. والكنَّس الغُيَّب؛ مأخوذةٌ من الكِناس، وهو كِناسُ الوحشِ الذي يختفي فيه. قال أوس بن حَجَر:

أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ أنزلَ مُزْنَةً ... وعُفْرُ الظباءِ في الكِناسِ تَقَمَّعُ[٥]

وقال طَرَفة:

كأنَّ كِناسَيْ ضالَةٍ يَكْنُفانِها ... وأَطْرَ قِسِيٍّ تحتَ صُلْبٍ مُؤيَّدِ[٦]

---

(١) في (م): والأصح.

(٢) أخرجه عنهما الطبري ٢٤/ ١٥٧ .

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٢/ ٣٧٤ ، والطبري ٢٤/ ١٥٥ .

(٤) في النكت والعيون ٦/ ٢١٥ و٢١٦ .

(٥) ديوان أوس بن حجر ص٥٧ ، والمعاني الكبير ٢/ ٦٠٥ ، وسلف ١٧/ ٢٩١ . قال ابن قتيبة: تَقَمَّع: تطرد عنها القمعة، وهو ذباب أزرق، يقول: خصَّه الله بهذه المزنة في غير وقت مطر، في الحر، والذباب لم يَخِفَّ ولم يذهب.

(٦) ديوان طرفة ص٢٥ ، الكناس: بيت يتخذه الوحش في أصل شجرة. والضَّالُ: ضَرْبٌ من الشجر، وهو السِّدر البري، الواحدة ضالَة. كنفت الشيء: صرت في ناحيته، والكنف الناحية. والأطر: العَطْف، ومُنحنَى القوس. والمؤيَّد: المقوَّى. شبَّه إبطي الناقة في السَّعة ببيتين من بيوت الوحش في أصل شجرة، وشبَّه أضلاعها بقِسِيٍّ معطوفة وسعةُ الإبط أبْعَدُ لها من العِثَار؛ لذلك مَدحها بها. شرح المعلقات للزوزني في ص٥١ .

وقيل: الكُنوسُ: أنْ تأويَ إلى مَكانسها، وهي المواضعُ التي تأوي إليها الوحشُ والظِّباء.

قال الأعشى:

فلمَّا أتينا الحيَّ أتلَعَ أُنَّسٌ كما أتلَعَتْ تحتَ المكانِسِ رَبْرَبُ[1]

يقال: تَلَع النهار: ارتفع، وأتْلَعتِ الظَّبيةُ من كِناسها، أي: سَمَتْ بجيدِها. وقال امرُؤ القيس:

تَعَشَّى قليلاً ثم أنْحى ظُلُوفَه يثِيرُ الترابَ عن مَبيتٍ ومَكنِسِ[2]

والكُنَّس: جمعُ كانِس وكانِسةٍ، وكذا الخُنَّسُ جمعُ خانِسٍ وخانِسةٍ. والجواري: جمعُ جاريةٍ، مِن جَرى يَجري.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ قال الفرَّاء: أجمعَ المفسِّرون على أنَّ معنى عَسْعَسَ: أدْبَر ـ حكاه الجوهريُّ ـ وقال بعضُ أصحابنا: إنه [إذا] دنا من أوَّله وأظْلَم، وكذلك السَّحابُ إذا دنا من الأرض[3].

المهدويُّ: «والليل إذا عَسْعَسَ»: أدْبَرَ بظَلامِه؛ عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما[4]. وروي عنهما أيضاً وعن الحسن وغيره: أقبلَ بظلامه[5]. زيد بن أسلَم: «عسعسَ»: ذهب[6].

---

(١) ديوان الأعشى ص١١ (طبعة دار صادر) برواية: فلما ادَّرَكْتُ. وهو في تفسير الطبري ٢٤/ ١٥٨ برواية: فلما لحقنا. قوله: أتلع، يقال: أتلع رأسه، أي: أطلعه فنظر. والربرب: القطيع من بقر الوحش، وقيل: من الظباء، ولا واحد له. اللسان (ربب) و(تلع).

(٢) ديوان امرئ القيس ص١٠٢ . قال الشارح: قوله: تعشى، أي: دخل في العشاء، وهو أول الليل، كأنه قال: أمسى قليلاً ثم أنحى ظلوفه، أي: اعتمد بأظلافه يحفر مربضاً يبيت فيه ويكنس.

(٣) الصحاح (عسس)، وما سلف بين حاصرتين منه وكلام الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٤٢ .

(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ١٥٩-١٦٠ .

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ١٦٠ و١٦١ عن مجاهد والحسن. وأخرجه عن ابن عباس عبد الرزاق ٢/ ٣٥٢ ، وابن الأنباري في الأضداد ص٣٣ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٦١ .

الفراء: العربُ تقول: عَسْعَسَ الليلُ وسَعْسَع: إذا لم يَبْقَ منه إلَّا اليسيرُ[١].

الخليلُ وغيرُه: عَسْعَسَ الليلُ: إذا أقبلَ أو أَدْبَر. المبرِّد: هو من الأضداد، والمعنيان يرجعان إلى شيءٍ واحدٍ، وهو ابتداءُ الظلامِ في أوَّله، وإدبارُه في آخره[٢]؛ وقال علقمةُ بنُ قُرْطٍ:

حتى إذا الصبحُ لها تَنفَّسا ... وانْجابَ عنها ليلُها وعَسْعَسا[٣]

وقال رُؤبة:

يا هندُ ما أَسْرعَ ما تَسَعْسَعا ... مِن بَعدِ ما كان فَتًى سَرَعرَعَا[٤]

وهذه حجةُ الفرَّاء. وقال امرؤُ القيس:

عَسْعَسَ حتى لو يشاءُ ادَّنا ... كان لنا مِن نارِهِ مَقبِسُ[٥]

فهذا يدلُّ على الدنوِّ.

وقال الحسن ومجاهدٌ: عَسْعَسَ: أظلَم؛ قال الشاعر:

حتى إذا ما ليلُهنَّ عَسْعَسَا ... رَكِبْنَ مِن حدِّ الظلامِ حِنْدِسَا[٦]

---

(١) ذكره البغوي ٤/ ٤٥٣ دون نسبة، ولم نقف عليه في معاني القرآن للفراء.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٢ ، وتهذيب اللغة ١/ ٧٩ .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٨٨ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ٢٣٨ ، والأضداد لابن السكيت ص١٦٧ ، والأضداد لابن الأنباري ص٣٣ ، والأزمنة والأمكنة ١/ ٣٢٥ .

(٤) الأول في الديوان ص٨٨ ، والبيتان في العين ١/ ٧٥ . قوله: سرعرعاً، أي: شابًّا قويًّا، كما ذكر صاحب العين. وتسعسع الرجل، أي: كَبِر حتى هرم وولى. الصحاح (سعسع).

(٥) كذا ذكره ابن الأنباري عن امرئ القيس ضمن خبر أخرجه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وقد ذُكر البيت في ملحقات ديوان امرئ القيس ص٤٦٣ عن ابن الأنباري. وذكر الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٤٢ : أن أبا البلاد النحوي كان ينشد هذا البيت، قال: وكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع، وذكر في شرحه: أن معناه: لو يشاء إذ دنا، فتركت همزة إذ، وأبدلوا من الذال دالاً، وأدغموها في الدال التي بعدها.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٢١٧ ، وأنشده ابن الأنباري في الأضداد ص٣٤ برواية:

حتى إذا الليل عليها عسعسا ... وادَّرعت منه بهيماً حِنْدِساً

قال ابن الأنباري: الحندس: الشديد السواد، والبهيم: الذي لا يخالط لونَه لونٌ آخر.

الماورديُّ: وأصلُ العسِّ: الامتلاءُ، ومنه قيل للقدح الكبير: عُسٌّ؛ لامتلائه بما فيه، فانْطَلَق على إقبال الليل لابتداءِ امتلائه، وانطلق على إدباره لانتهاءِ امتلائه، وانطلق على ظلامه لاستكمال امتلائه[١]. وأمَّا قولُ امرئ القيس:

أَلِمَّا على الرَّبْعِ القديم بِعسْعَسَا[٢]

فموضعٌ بالبادية، وعسعسٌ أيضاً اسمُ رجلٍ؛ قال الراجز:

وعَسْعَسٌ نِعمَ الفتى تَبَيَّاهُ[٣]

أي: تَعْتَمِدُه. ويقال للذئب: العَسْعَسُ والعَسعاسُ والعَسَّاس؛ لأنه يَعُسُّ بالليل ويَطلبُ. ويقال للقنادفذ: العَسَاعِسُ؛ لكَثْرةِ تَردُّدِها بالليل. قال أبو عمرو: والتَّعَسْعُس: الشمُّ، وأنشد:

كَمِنْخَرِ الذِّئبِ إذا تَعَسْعَسَا[٤]

والتَّعَسْعُس أيضاً: طَلَبُ الصيدِ [بالليل].

قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: امتدَّ حتى يصيرَ نهاراً واضحاً؛ يقال للنهار إذا زاد: تنفَّس. وكذلك الموجُ إذا نَضحَ الماءَ. ومعنى التنفُّسِ: خروجُ النسيمِ من الجَوْف.

وقيل: «إذا تنفَّس»، أي: انشقَّ وانفَلَقَ، ومنه: تَنفَّستِ القوسُ[٥]، أي: تَصَدَّعتْ.

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ٢١٧ ، وليس في مطبوعه: وانطلق على إدباره لانتهاء امتلائه.

(٢) ديوان امرئ القيس ص١٠٥ ، وعجزه: كأني أنادي أو أكلِّم أخرسا. قال شارح الديوان: يقول لصاحبيه: ألمَّا على الرَّبْع، أي: انزلا عليه مساعدة لي حتى أسأله عن أهله، ثم أخبر أنه ناداه فلم يُجبْه.

(٣) البيت لرويشد الأسدي كما في التاج (بيي)، وهو دون نسبة في أدب الكاتب ص٤٥ ، والصحاح (عسس)، والاقتضاب ص٣٠٩ ، وذكر البطليوسي قبله: منَّا يزيد وأبو مُحيَّاهْ.

(٤) الصحاح (عسس)، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٥) في النسخ: تنفست القوس والنفوس، والمثبت من تهذيب اللغة ١٣/ ١٠ والصحاح (نفس) واللباب ٢٠/ ١٨٨ ، وفتح القدير ٦/ ٣٩١ . واللسان (نفس).

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا جوابُ القَسَم. والرسولُ الكريم: جبريل؛ قاله الحسنُ وقتادةُ والضحاك[١]. والمعنى: «إنه لقولُ رسولٍ» عن الله، «كريمٍ» على الله. وأضاف الكلام إلى جبريلَ عليه السلام، ثم عدَّاه عنه بقوله: «تنزيلٌ مِن ربِّ العالَمِين» ليعلم أهلُ التحقيق في التصديق، أنَّ الكلام للهِ عزَّ وجلَّ.

وقيل: هو محمدٌ عليه الصلاة والسلام[٢] ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾: مَن جَعَله جبريلَ فقوَّتُه ظاهرةٌ، فروى الضحاكُ عن ابن عباس قال: مِن قوَّته قَلْعُه مَدائنَ قومِ لُوطٍ بقوادمِ جناحه[٣].

﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: عند الله جلَّ ثناؤه ﴿مَكِينٍ﴾ أي: ذي منزلةٍ ومكانةٍ، فرُوي عن أبي صالح قال: يدخلُ سبعين سُرادِقاً بغيرِ إذنٍ[٤].

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي: في السماوات؛ قال ابن عباس: من طاعةِ الملائكةِ جبريلَ، أنه لمَّا أسرِيَ برسول الله ﷺ قال جبريل عليه السلام لرضوان خازِنِ الجِنَان: افتح له، ففتح، فدخل ورأى ما فيها، وقال لمالكٍ خازِنِ النار: افتح له جهنَّم حتى ينظرَ إليها، فأطاعه وفتح له[٥].

﴿أَمِينٍ﴾ أي: مؤتَمن على الوحي الذي يجيءُ به.

ومَن قال: إنَّ المرادَ محمدٌ ﷺ، فالمعنى: «ذي قوةٍ» على تبليغ الرسالة[٦]، «مُطاعٍ» أي: يطيعُه مَن أطاع الله جلّ وعزّ.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ يعني محمداً ﷺ، ليس بمجنون حتى يُتَّهم في قوله. وهو من

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢١٨ ، وأخرجه عن قتادة عبد الرزاق ٢/ ٣٥٢ ، والطبري ٢٤/ ١٦٣ .

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢١٨ عن ابن عيسى.

(٣) سلف ٢٠/ ١٢ عن الكلبي، ولم نقف عليه عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٦٤ ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ٤٣ ، كلاهما في تفسير قوله تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ ولفظه: أمين على أن يدخل سبعين سرادقاً من نور بغير إذن.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ٤٣ دون نسبة.

(٦) في (د) و(ظ): الوحي.

جواب القَسَم.

وقيل: أراد النبيُّ ﷺ أن يرى جبريلَ في الصورة التي يكونُ بها عند ربِّه جلَّ وعزَّ، فقال: ما ذاك إليَّ؛ فأذِنَ له الربُّ جلَّ ثناؤه، فأتاه وقد سَدَّ الأُفقَ، فلمَّا نظرَ إليه النبيُّ ﷺ خرَّ مَغشيًّا عليه، فقال المشركون: إنَّه مجنون، فنزلت: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[1] وإنَّما رأى جبريلَ على صورته فهابَه، وورد عليه ما لم تَحْتَمِلْ بِنيتُه، فخرَّ مَغشيًّا عليه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: رأى جبريلَ في صورته، له ستُّ مئة جناحٍ[2]. «بالأفقِ المُبينِ» أي: بمطلع الشمس من قِبَلِ المَشرِق؛ لأنَّ هذا الأفقَ إذا كان منه تطلعُ الشمسُ فهو مُبين. أي: من جهته تُرَى الأشياء.

وقيل: الأفقُ المبينُ: أقطارُ السماءِ ونواحيها؛ قال الشاعر:

أخَذْنا بِآفاقِ السماءِ عليكُمُ لنا قَمراها والنجومُ الطَّوالِعُ[3]

الماورديُّ: فَعلَى هذا فيه ثلاثةُ أقاويلَ؛ أحدُها: أنه رآه في أفقِ السماءِ الشرقيِّ؛ قاله سفيان. الثاني: في أفق السماء الغربيِّ، حكاه ابن شجرة. الثالث: أنه رآه نَحوَ أجياد، وهو مَشرقُ مكةَ؛ قاله مجاهد[4].

وحكى الثعلبيُّ عن ابن عباس: قال النبيُّ ﷺ لجبريلَ: «إنِّي أحبُّ أن أراكَ في

---

(١) لم نقف عليه بهذا السياق، وسيأتي خبر رؤية النبي ﷺ لجبريل في صورته التي يكون فيها في السماء.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٦٦-١٦٧ عن أبي الأحوص، وأخرج عبد الرزاق ٢/ ٣٥٢ عن ابن مسعود ﷺ قال: رأى جبريل له خمس مئة جناح قد سدَّ الأفق.

(٣) البيت للفرزدق، وهو في الكامل للمبرد ١/ ١٨٧ ، وطبقات فحول الشعراء ١/ ١٨٠ ، والخزانة ٩/ ١١٤ . قوله: قمراها، قال المبرد: يريد الشمس والقمر.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢١٨-٢١٩ ، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٤/ ١٦٦ .

صورتك التي تكونُ فيها في السماء» قال: لن تقدرَ على ذلك. قال: «بلى» قال: فأين تشاءُ أن أتخيَّل لك؟ قال: «بالأبطح» قال: لا يَسعُني. قال: «فبمِنًى» قال: لا يسعني. قال: «فبعرفات» قال: ذلك بالحريِّ أن يَسعني. فَواعَدَه، فخرج النبيُّ ﷺ للوقت، فإذا هو قد أقبلَ بخَشْخَشةٍ وكَلْكلةٍ من جبال عَرفات، قد ملأ ما بينَ المشرقِ والمغرب، ورأسُه في السماء ورجلاه في الأرض، فلمَّا رآه النبيُّ ﷺ خرَّ مغشيًّا عليه، فتحوَّل جبريلُ في صورته، وضمَّه إلى صدره. وقال: يا محمدُ لا تَخَفْ، فكيف لو رأيتَ إسرافيلَ، ورأسُه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، وإنَّ العرش على كاهله، وإنه ليتضاءلُ أحياناً من خشية الله، حتى يصير مثل الوَصَع ـ يعني العصفور ـ حتى ما يحملُ عرشَ ربِّك إلَّا عظمتُه[١].

وقيل: إنَّ محمداً عليه الصلاة والسلام رأى ربَّه عزَّ وجلَّ بالأفق المبين. وهو معنى قولِ ابنِ مسعود[٢]. وقد مضى القولُ في هذا في «والنَّجْمِ» مستوفًى[٣]، فتأمَّلْه هناك.

وفي «المبين» قولان: أحدُهما أنه صفةُ الأفقِ؛ قاله الربيع. الثاني: أنه صفةٌ لمن رآه؛ قاله مجاهد.

﴿وما هو على الغيب بِظَنينٍ﴾ بالظاء، قراءةُ ابنِ كثير وأبي عمرو والكسائيِّ[٤]، أي: بمتَّهم، والظِّنَّة: التُّهمة؛ قال الشاعر:

أمَا وكتابِ اللهِ لا عن شناءةٍ هُجِرتُ ولكنَّ الظَّنِينَ ظَنينُ[٥]

---

(١) أخرجه البغوي في التفسير ٤/ ٤٥٤ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢١٨ .

(٣) ٢٠/ ٢١ وما بعد، وقول ابن مسعود هناك هو أن الذي رآه رسول الله ﷺ هو جبريل، وقد ذكر المصنف ٨/ ٤٨٣-٤٨٤ عن ابن مسعود القولين؛ الأول: أنه إنما رأى جبريل. والثاني: ذكره عن بعض المتكلمين عن ابن مسعود أن محمداً ﷺ رأى ربه. ثم قال: والأول عنه أشهر.

(٤) السبعة ص٦٧٣ ، والتيسير ص٢٢٠ .

(٥) البيت لعبد الرحمن بن حسان، كما في الكامل ١/ ٢٣ ، وتهذيب اللغة ١٤/ ٣٦٤ ، ونسبه ابن بري =

واختاره أبو عُبيد؛ لأنهم لم يُبَخِّلوه ولكن كذَّبوه؛ ولأنَّ الأكثر من كلام العرب: ما هو بكذا، ولا يقولون: ما هو على كذا، إنَّما يقولون: ما أنت على هذا بمتَّهم.

وقرأ الباقون: «بِضَنِينٍ» بالضاد: أي: ببخيل؛ من ضَنِنْتُ بالشيء أضِنُّ ضِنًّا. فروى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال: لا يَضنُّ عليكم بما يَعلَم[1]، بل يُعَلِّم الخَلقَ كلامَ اللهِ وأحكامَه. وقال الشاعر:

أجُودُ بمكنونِ الحديث وإنَّني ... بِسِرِّكِ عمَّن سالَني لضَنِينِ[2]

والغَيْب: القرآنُ وخبرُ السماء. ثم هذا صفةُ محمدٍ عليه الصلاة والسلام. وقيل: صفةُ جبريلَ عليه السلام.

وقيل: بظَنين: بضعيف. حكاه الفرَّاء والمبرِّد؛ يقال: رجلٌ ظَنينٌ[3]، أي: ضعيفٌ. وبئر ظَنونٌ: إذا كانت قليلةَ الماء؛ قال الأعشى:

ما جُعِل الجُدُّ الظَّنونُ الذي ... جُنِّبَ صَوبَ اللَّجِبِ الماطِرِ

مِثلَ الفُرَاتيِّ إذا ما طما ... يَقذِفُ بالبُوصِيِّ والماهِرِ[4]

والظَّنونُ: الدَّينُ الذي لا يُدْرَى أيقْضِيه آخِذُه أم لا؟ ومنه حديثُ عليٍّ عليه السلامُ في الرجل يكون له الدَّينُ الظَّنون، قال: يزكِّيه لِمَا مضى إذا قَبَضَه إن كان صادقاً[5].

= لنَهار بن تَوسِعة، كما في اللسان (ظنن). ووقع في هذه المصادر: جناية، بدل: شناءة. والشناءة: أشدُّ البغض. المعجم الوسيط (شنأ).

(١) أخرجه الطبري ٢٤/١٦٨ .

(٢) البيت لقيس بن الخطيم، كما في أمالي القالي ٢/١٧٧ ، وفيه: أجود بمكنون التلاد...، وذكره أيضاً القالي في الأمالي ٢/٢٠٢ ، وابن عبد البر في بهجة المجالس ١/ ٤٦٠ برواية: أجود بمضنون التلاد. والتلاد: ما ولد عندك من مالك أو نتج. القاموس (تلد).

(٣) في معاني القرآن للفراء: ظنون، وكذا نقل عنه الطبري ٢٤/ ١٧٠ ، والأزهري في تهذيب اللغة ١٤/ ٣٦٣ .

(٤) ديوان الأعشى ص١٩١ ، واللسان (مهر)، وفيه: الجُدُّ: البئر، والفراتي: الماء المنسوب إلى الفرات. وطما: ارتفع. والبوصي: الملاح. والماهر: السابح. قال شارح الديوان: أي: ليس البئر القليل الماء قد جانَبه السيل الزاخر، مثلَ الفرات إذا جاش بالماء يقذف بالسُّفين وبالسبَّاح.

(٥) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ٣/ ٤٦٤ ، وأحمد كما في مسائل ابنه عبد الله ٢/ ٥٣٢ .

والظَّنون: الرجلُ السيِّئُ الخُلُقِ[١]؛ فهو لفظٌ مُشتَرَكٌ.

﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ أي: مرجومٍ ملعونٍ، كما قالت قريش. قال عطاءٌ: يريدُ بالشيطان الأبيضَ الذي كان يأتي النبيَّ ﷺ في صورةِ جبريلَ يريدُ أنْ يَفْتِنَه.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ قال قتادةُ: فإلى أين تَعدِلون عن هذا القول وعن طاعته؟ كذا روَى مَعمر عن قتادة[٢]، أي: أين تذهبون عن كتابي وطاعتي؟

وقال الزجَّاج[٣]: فأيَّ طريقةٍ تَسلُكون أبينَ من هذه الطريقةِ التي بيّنت لكم؟ ويقال: أين تذهبُ؟ وإلى أين تذهبُ؟ وحَكَى الفرَّاء[٤] عن العرب: ذهبتُ الشامَ وخرجتُ العراقَ وانطلقتُ السوقَ، أي: إليها. قال: سمعناه في هذه الأحرفِ الثلاثة، وأنشدني بعضُ بني عقيل:

تَصِيحُ بِنَا حَنِيفَةُ إذْ رَأَتْنَا ... وأيَّ الأرضِ تَذْهَبُ بالصِّيَاحِ[٥]

يريد: إلى أيِّ أرضٍ تذهبُ، فحذف إلى. وقال الجنيد: معنى الآيةِ مقرونٌ[٦] بآيةٍ أخرى، وهي قولُه تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١] المعنى: أيَّ طريقٍ تسلُكون أبينَ من الطريق الذي بينه الله لكم. وهذا معنى قولِ الزجَّاج.

---

(١) في المعاجم: الظنون: الرجل السيء الظن. زاد الأزهري عن الليث، والظنون: الرجل القليل الخير. تهذيب اللغة ٤/ ٣٦٣.

(٢) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ١٧١ من طريق سعيد عن قتادة، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢١٩.

(٣) في معاني القرآن ٥/ ٢٩٣.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٤٣.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٣، وإصلاح المنطق ص٩٩، وفيهما: تذهب للصياح. والبيت كما قال السيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق ص٢٤٨ لعتي بن مالك العقيلي من قصيدة قالها في يوم الفَلَج، وهو يوم كان بينهم وبين بني حنيفة. ومعناه: أنهم شجعان لا يبرحون مكاناً، إذا صيح بهم في الحرب ثبتوا.

(٦) في (د): معروف.

﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: مَوعظةٌ وزَجرٌ. و«إنْ» بمعنى «ما». وقيل: ما محمدٌ إلاَّ ذِكر. ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ أي: يتَّبع الحقَّ ويُقيم عليه.

وقال أبو هريرةَ وسليمان بنُ موسى: لمَّا نزلتْ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قال أبو جهل: الأمرُ إلينا، إنْ شئنا استقَمْنا، وإنْ شئنا لم نَسْتَقِمْ ـ وهذا هو القَدَرُ، وهو رأسُ القَدَرية ـ فنزلت ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، فبيَّن بهذا أنه لا يعملُ العبدُ خيراً إلَّا بتوفيقِ الله، ولا شرًّا إلَّا بخذلانه. وقال الحسن: والله ما شاءت العربُ الإسلامَ حتى شاءه الله لها.

وقال وهب بن مُنبِّه: قرأتُ في سبعةٍ وثمانين كتاباً ممَّا أنزلَ الله على الأنبياء: مَن جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كَفَر[2]. وفي التنزيل: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠]. وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] والآيُ في هذا كثير، وكذلك الأخبارُ، وأنَّ الله سبحانه هَدَى بالإسلام، وأضلَّ بالكفر، كما تقدَّم في غيرِ موضعٍ. خُتمت السورة والحمد لله.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٧٣ عن سليمان بن موسى، وأخرجه عن أبي هريرة ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/ ٣٢٢.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١١٧٠) و(١٢٥٨)، وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٢٤، وفيه: قرأت نيِّفاً وتسعين كتاباً...